أمنا عائشة ملكة العفاف رضي الله عنها

The Mother of Believers: ‘Ā’ishah, the Queen of Chastity

د.مسعود احمدالسندي*

ABSTRACT

This research aims to explore various features of Syyidah ‘Ā’ishah (رضي الله عنها)'s noble personage. This paper highlights some distinguished aspects of her biographical account, her extraordinary intelligence, eminent rank amongst other wives of the Prophet Muḥammad (ρ), excellence over women of the world and being mentioned in the Qur’ān for her praiseworthy character.

The scholarly areas, in which, she outshone others in Islamic intellectual heritage, include the Quranic exegesis, Ḥadīth narratives, jurisprudence, scholastic reasoning: analysis of jurisprudential methodology and principles of deduction of rulings and opinions. She adopted multifarious modes in this regards including explicit, direct, generalized, inductive and analogous approaches in the Islamic intellectual scholarship.

The grandeur of Ā’ishah (رضي الله عنها) was acknowledged by the companions of the Prophet, her scholarly point of view in conciliation of the problems of the Qur'ān and Ḥadīth made her stand out amongst all. She was a keen researcher, peaceful preacher and the greatest scholar of Islām of all times. Her knowledge and command over religious and social matters made her one of the most reliable experts of the Qur'ān, Ḥadīth and Fiqh. Such was her stature as the archangel Jibrā’īl presented his salutation to her.

Keywords: *Quranic Exegesis, Qur’ān; Ḥadīth; Fiqh; Conciliation between the Qur'ān and Ḥadīth; Scholarly Opinion*

---

* أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه ، الجامعة الإسلامية العالمية-إسلام آباد

الحمد لله ، نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فيقول الله عزوجل في محكم تنزيله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(١)

إن الله سبحانه وتعالى يبين لنا في هذه الآية الكريمة مخبرا عن نبيه ﷺ (والذين معه) من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال. (رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)، أي: يتحابون، يتراحمون، يتعاطفون، كالجسد الواحد، يحب لهم ما يحب لذاته، هذه دابهم مع البرية. وأما معاملتهم مع رب البرية فإنك (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) أي نعتهم بكثرة الصلاة، التي أعظم أركانها، الركوع والسجود.(٢)

فهكذا كانت الصحابة رضي الله عنهم بقايا من الرسل يرشدون من انحرف إلى الدرب الصحيح ويتحملون علي المصائب. وهكذا بلى الله تعالى رسوله محمدا ﷺ في أحب نسائه إليه الصديقة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، اذ سار المنافقون والمردفون في المدينة بخبر حادثة الإفك أيماكان، حتي برء ها الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم! ثم جاء من بعد المنافقون والزنادقة والملحدون والرافضيون بسنة النبي محمد ﷺ وصحابته رضي الله عنهم يتقولون على السيدة عائشة، الكذب والزور، ويرمونهابالأباطيل وأحاديث الزور.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن نشأة السيدة عائشة الصديقة

- **اسمها وكنيتها**

اسمها التي عرفت به :عائشة بنت أبي بكرالصديق عبدالله ابن أبي قحافة عثمان ابن عامر القرشية التيمية. (٣)

- **كنيتها**: ثبت فى السنة أنها طلبت من النبي ﷺ أن تكتني، فقا: أكتني بابنك عبدالله يعني ابن أختها أسماء (عبدالله بن الزبير) فكانت تكنى بأم عبدالله.(٤)
- **ولادتها**: ولدت عائشة فى الصدق والإيمان فى مكة السنة السادسة أو الخامسة من بدء البعثة النبوية فقد صح عنها انها قالت فيما معناه: ((نكحني خليل الله وانا غليمة لست ودخل بى وأنا طفيلة في التاسعة))(٥)، والمشهورأنه ﷺ دخل بها فى شوال(٦) بعد حادثة بدر فى السنة الثانية من الهجرة، وهى أصغرمن فاطمة بثماني سنين.(٧)
- **طفولتها وصباها** :

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها فى بكارة عمرها تتمتع بالمرح واللعب مع صاحباتها، وقد حدثت السيدة كيف انتقلت من فوق الأرجوحة إلى بيت الزوجية: "فاجئتني أم رومان، ومعي صاحباتي، فصخت بى فاتيتها، ولا أدرى ما تريد بي فمسكت بيدي فاوقفتني على عتبة الباب، فقلت: هه هه حتى ذهبت نفسي فادخلتني دارا، فاذا نساء من الأنصار، فقلن: على البركة والخير وعلى خيرطائر"(٨)

وبسبب صغر سنها حكت قائلة عندما حصنت كنت اتشاغب مع صواحبات لي وهى تحكى فتقول: ((كنت ألعب بالبنات وأنا عند رسول الله فكان يسرب إلي صواحباتي يلاعببني))(٩)، وقالت أيضا ((دخل عليَّ رسول الله واناالعب بالبنات)) (١٠)ولذاقالت: ((اعتبروا قدرالفتاة الحديثة السن تسمع اللهو.))(١١) .

زواج النبي ﷺ منها

وأول مراحل هذا الزواج المبارك كانت وحياً من الله سبحانه وتعالى أخبر عن هذا رسول الله حين قال لعائشة:فيما معناه ((أريتك فى الرؤية ثلاث، جائني بك الملك فيقول: هذه زوجتك، فاكشف عنها فاذا أنت ، فأقول: إن يك من عندالله يمضه))(١٢) وفى حديث حميراء أن جبريل اتي بشكلها فى مزقة حريرخضراء إلى ابي القاسم ﷺ فقال: ((هذه زوجتك فى الدنيا والاخرة.))(١٣)

وبعد موت زوجته الأولى أمضى الله هذا الزواج المبارك فتم بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث، وهل تزوجها قبل سودة بنت زمعة ام بعدها فيه اختلاف والأقرب الى الصواب أنه تزوجها قبل سودة بنت زمعة، وذالك لحديث عائشة، قالت: "مارأيت امرأة احب الي ان اكون فى مسلاخها من سودة بنت زمعة ...". وفى رواية قالت: " وكانت أول امرأة تزوجها بعدي"(١٤) وبنى بها بالمدينة المنورة وهى بنت تسع فى شوال منصرفه من بدرفى السنة الثانية، وقيل فى الثالثة من الهجرة واقامت فى صحبته ﷺ تسع سنوات الاسبعة وتوفي عليه الصلاة والسلام وهي لم تكمل ثماني عشرة .

فضائلها رضي الله عنها

خص الله السيدة عائشة رضي الله عنها بكثيرمن الفضائل والمزايا حتى نالت عند رسول الله المنزلة الرفيعة، وأذكر فيما يلى بعض فضائلها.

ومن فضائلها رضي الله عنها أنه يجب محبتها علي كل مسلم لما ثبت فى الحديث الصحيح لما جاءت فاطمة عليها من الله الرضوان إلى الخليل ﷺ ((قال لها: الست تودين ما اود؟ اجابت بنعم، قال: فاحبي هذه يعنى الصديقة))(١٥)، قوله {فاحبي} صيغة امر، وصيغة الأمر عند الأصوليين تقتضي الوجوب إذا تخلت عن القرآئن الصارفة عن الوجوب إلى الإستحباب فدل الحديث على وجوب محبتها ومما يدل على شدة محبة النبي ﷺ إياها انه كان احيانا يناديها ب{يا عائش} على

الترخيم[١٦]، ويكفى فى فضلها أنها بنت الصديق أعز أصحاب النبي ﷺ فى الجاهلية والإسلام وكثيراً ما كان ﷺ يناديها: يا بنت الصديق، يا بنت أبي بكر" [١٧]، وفى بعض الأحاديث نوّه بحبها لكونها بنت أبى بكر كقوله ﷺ إنها ابنة أبى بكر".[١٨]

ومن فضائلها ومزاياها أنها من أحسن نساء البرية، لحديث أنس رضي الله عنه «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[١٩] {الثريد} يكون من اللحم والخبز وكان أفضل الطعام عندالعرب، كيف لا تكون السيدة عائشة أفضل نساء الأرض وهي حبيبة حبيب الله ﷺ،كان ياتيه الوحي وهو في ردائها دون غيره، ومن فضائلها أنه ﷺ كما قال رسول الله ﷺ: ((يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة،...))[٢٠]

وفى الحديث النبوي دلالة واضحة أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد تبؤات فى قلب النبي ﷺ منزلة رفيعة فى المحبة لم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين، وعرف الصحابة هذه المنزلة، فأقروا لها بها، ففى تتمة الحديث المذكور أنهم كانوا ينتظرون يوم عائشة ليقدموا للنبي هداياهم وهوعندها حتي أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين فاجتمعن إلى أم سلمة وقلن: يا أم سلمة والله إن القوم يتحرّون بعطاياهم نوبة عائشة، وإنا نشاء الخير كما تريد عائشة، فاقترحي رسول الله أن يأمر الناس أن يهبوا إليه حيث ماكان، أو حيث ما هو، فذكرت ذالك أم سلمة لابي ابراهيم قالت: فأعرض عني... فلما كان فى الثالثة قال النبي((يا أم سلمة لاتؤذيني أن جبريل عليه السلام أقرأها السلام)).

ومن فضائلها كما ثبت عن أبي سلمة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «إنَّ جبريل يقرأ عليك السلام» ترى مالا ارى }.[٢١]

من فضائلها ومناقبها العظيمة أن الله انزل آيات تتلي، فى المحاريب والصلوات، عندما اتهمت بالإفك فأنزل الله براءتها في (١١-٢٠ الايات) سورة

النور وصفت فيها بأنها من الطيبات من فضائلها ومناقبها العظيمة أنها البكر الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ وأصغر أمهات المؤمنين سنا، وقد كانت تفتخر بهذا وتدل أحيانا به أدلال الحبيب أمام النبي ﷺ فتمثل له بواد,والمرتع فيقول: "في الذى لم يرتع منها". فهي رضي الله عنها تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.(٢٢)

ومن فضائلها ومناقبها السامية، ذوقها الرفيع وأدبها البديع وفصاحة لسانها وعلو بيانها، حيث كانت فى حديثها مع النبي ﷺ تزداد ذوقاً وأدباً وبياناً، انظر مثلاً جوابها النفيس للنبي ﷺ عندما قال لها فى حديث أم زرع ((كنت لك كأبي زرع لام زرع ...)) قالت السيدة : يارسول الله بل أنت خير من أبي زرع.(٢٣)

وتأمل حسن منطقها وعلو ذوقها فى الحديث التالي: والله يارسول الله ما أهجر ألا اسمك(٢٤)، لذلك كان النبي ﷺ يحب محادثتها حتى فى السفر، فإذا كان بالليل سارمع عائشة يتحدث(٢٥)،فالسيدة عائشة رضي الله عنها قد نالت شرف خدمة النبي ﷺ فى أيام حياته الأخيرة، فما إن شعر ﷺ بالمرض حتي أخذ يسأل: ((أين أنا غدا ...؟))

أن رسول الله ﷺ كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه يقول «أين أنا غدا أين أنا غدا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة فمات فى اليوم الذى كان يدور على فيه فى بيتى، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحرى، وخالط ريقه ريقى..(٢٦)

علمها وتعليمها:

من الصفات البارزة للسيدة عائشة هو العلم بحيث انها كانت مرجعا فاصلا لاصحاب النبي ﷺ حيث قال أبو موسى الأشعري ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما. (٢٧)قيل للإمام مسروق بن الأجدع: هل كانت عائشة تجيد علم الميراث؟ قال: أي والله ولقد رأيت كبار أصحاب محمد ﷺ يستفهمونها الفرائض.(٢٨)

وحين يصعب على أهل البلاد أمر من أمور الدين، يراسلون الصحابة في الحجاز، يريدون حكم الله فيه، فكان مقام السيدة عائشة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذهم، فكان عمر يحيل عليها كل ما يتعلق بأحكام المرأة، أو بأحوال البيت، لا يصارعها فى هذا الاختصاص أحد على الإطلاق، قال الإمام ابن شهاب: لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً.(٢٩)

وقد قال عنها عروة بن الزبير ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِفَرِيضَةٍ وَلَا بِحَلَالٍ وَلَا بِحَرَامٍ وَلَا بِشِعْرٍ وَلَا بِحَدِيثِ الْعَرَبِ وَلَا بِنَسَبٍ مِنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها)).(٣٠)

ثمة عدة عوامل مكنت السيدة أن تتبوأ هذه المكانة العلمية الرفيعة من أهم هذه العوامل، كما يلي:

- **ذكائها الحاد و ذاكرتها:** وحسبك لهذا الأمر دليلا كثير ما روي عنهامن الاحاديث و الأمثال والأشعار التي كانت مستشهدة فى مناسبات تعرض لها.
- **زواجها في سن مبكر من النبي ﷺ**، ونشأتها في بيت النبوة، وحياتها فى كنفه ورعايته ﷺ خلال هذه المدة حفياً بها، كثيرالإهتمام بتعليمها وارشادها،.
- **الاكثارمن الوحي في حجرتها**، وهذا وبما فضلت بلسانها السؤول، فقلّ أن تسمع شيئاً تستشكله أو ترى أمراً لا تعرفه إلا وتسأل مستفسرة عنه واشتهرت السيدة عائشة بذلك.(٣١)

والأمثلة على ذالك كثيرة منها:

((قال النبي ﷺ: "من حوسب عذب" قالت عائشة: فقلت: أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾(٣٢) فقال: إنما ذالك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)).(٣٣)

المبحث الثالث

هذا ونشير بالاختصار إلى بعض المجالات التي تبرز شحصيتها العلمية وتفوقها على الصحابة رضي الله عنهم ومن هذه المجالات

١ - أنها مفسرة كتاب رب العالمين

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أحد أعلام التفسير من أصحاب النبي ﷺ، حيث انها منذ الطفولة المبكرة ، وهي تسمع القرآن من فم الصديق ، وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم كماان ذاكرتها وفطانتها هذا هو سبب آخر ، اذ تقول لقد أنزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾(٣٤). ما أنزل النساء والبقرة الاو أنا عنده، ولما انتقلت الى بيت النبوة شهدت كثيراً من أسباب نزول الوحي على رسول الله، و كثيرا ما كانت (رضي الله عنها) تسأل عن معاني القرآن الكريم و الي ماتشير اليه بعض الآيات. فجمعت بذلك شرف تلقي القرآن ومعانيه من النبي ﷺ فور نزوله. وقد جمعت (رضي الله عنها) إلى جانب ذلك كل ما يحتاجه المفسر من اللغة، تقول السيدة: سألت رسول الله عن قوله عزوجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾(٣٥). فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله ﷺ؟ ((فقال: على الصراط))(٣٦)، وفي موقف آخر يتضح لنا السيدة عائشة كانت تحرص على إظهار ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض، فترد الآيات إلى آيات أخري وتفسر القرآن بالقرآن.

وبهذا رسمت السيدة لكل من أتي بعدها أمثل الطرق وأقربها لتفسير القرآن الكريم وفهمه.

٢: أنها محدّثة وحافظة السنة النبوية.

هذه من أبرز الصفات العلمية للسيدة عائشة رضي الله عنها على الاطلاق، فهي تعد من كبار حفاظ السنة المطهرة، فالعلماء من المحدثين الذين قسموا رواة الحديث

من الصحابة على طبقات من حيث كثرة الرواية وقلتها جعلوا السيدة عائشة فى الرتبة الخامسة وقد روي عنها ألفان ومائتان وعشرة حديثاً.(٣٧) .

وتمتاز السيدة عائشة رضي الله عنها عن الصحابة رضي الله عنهم بأن جل الروايات المروية عنها مسموعة من النبي ﷺ أما غيرها من رواة الحديث فقد رووااغلبهابالواسطة، وقل أن روت السيدة بالواسطة فهي تعد من أكثر اصحاب النبي تلقياً من النبي ﷺ ولذالك استقلت بروايةالمرويات الكثيرة عن النبي ﷺ لم يرويها عنه غيرها، بينما وجد الاشتراك في رواية أحاديث كثيرة عنه ﷺ، ففي مسانيدهم تجد أحاديث كثيرة مشتركة، بينما تجد مسند السيدة عائشة رضي الله عنها مليئاً بالأحاديث التي لا توجد في غيره إلا إذا رويت عنها، وهذه الميزة تبين لنا فضل بنت الصديق في نقل السنن النبوة وتبليغها الي الامة، ولولا السيدة عائشة بعد الله تعالى لعدم قسم كبير من سنة النبي ﷺ ولاسيما السنن الفعلية، وتكاد الأحاديث التي وصفت السيدة عائشة بها سنته الفعلية تغلب على الأحاديث التي روت السيدة عائشة بها أقواله عليه الصلاة والسلام.

وكانت رضي الله عنها مما ظهر من تعاملها مع النصوص انها تهتم بالفاظ النوية كما وردت ترى وجوب المحافظة على ألفاظ الحديث كما هي،يدل علي ذلك قصتها مع عبد الله بن عمرو فلما ظهر لها انه حافظ لالفاظ النبوية قالت: ((ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص)).(٣٨)

ولذا كان جمع من الجهابذة كانوا يصححون الفاظهم باقرارها، فقد كان أبوهريرة وهوأكثرالصحابة حفظاً للسنة يأتي الى مكان قريب من حجرة السيدة فيحدث ويقول: ((اسمعي يا ربة الحجرة اسمعي ياربة الحجرة))(٣٩) ومراده كما قال النووي، تقوية الحديث باقرارها ذلك وسكوتها عليه.(٤٠)

٣ : أنها فقيهة ومجتهدة الأمة

تعد السيدة عائشة رضي الله عنها من أكثر الصحابة تفقهاً وتعلماً، ولقد كانت من المجتهدات ، وكما مر معنا بأن الأكابر ممن صحبوا اباقاسم ياتونها للفتيا، ويسألونها فتجيبهم وقد ذكر القاسم أن عائشة زوجة النبي قد كانت تفتي من خلافة الصديق إلى أن اخترمتها المنية.(٤١) ولها باع كبير في استنتاج الاحكام كما قال أبو سلمة بن عبدالرحمن:"مارأيت احداً أعلم بسنن رسول الله ولا أفقه فى رأي أن احتيج إليه،ولا أعلم بأية فيما نزلت،ولا فريضة من عائشة"(٤٢) فكانت السيدة عائشة إذا استفهمت عن قضية من القضايا لفتت الانظار الي المصدرين القران والحكمة والا اجتهدت في استنباط القضية مستندة في ذالك إلى الكتاب والسنة. فقد ثبت أنها استنبطت منع التبتل والانقطاع عن الزواج إلى العبادة، لما دخل عليها سعد بن هشام فقال: انني سائلك عن التبتل فمايظهرلك فيه؟ قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله يقول ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(٤٣).(٤٤)

وتأمل كيف استدلت على تحريم زواج المتعة، قال ابن أبي مليكة: كانت عائشة إذا سألهااحد عن متعة النساء قالت: بينهم و بيني كتاب الله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ.إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ.فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾(٤٥)وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة الدالة على استنباطاتها وفقهها ، الموجودة فى كتب الأحاديث.

المبحث الرابع: منهج السيدة عائشة الأصولي من خلال اجتهاداتها واستنباطاتها

يعد العلماء أصول الفقه من العلوم الأساسية للمجتهد، فيشترطون للمجتهد أن يكون عارفاً بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها ووجوه دلالاتها على مدلولاتها والشروط المعتبرة فيها وكيفية استنباط الأحكام منها على ما هو مفصل في كتب الأصول. والسؤال هنا: هل كان هذا العلم موجودا عند السيدة عائشة رضي الله عنها والصحابة المجتهدين عموماً؟

الجواب أقول: إن أصول الفقه كعلم واستنباط كان ملكة عند الصحابة بحكم معايشتهم للرسول ﷺ، غاية ما هناك أنه لم تكن أصول الفقه بالمسميات المستحدثة عند أصحاب علم الأصول، وكانوا رضي الله عنهم يستعملون تلك الأصول والقواعد فى اجتهاداتهم واستنباطاتهم، منهم السيدة عائشة وذكرتُ فيما سبق أنها رضي الله عنها كانت أكثر الصحابة الذين اختارهم الله لرسوله ﷺ ملازمة وصحبة وقرباً للمصطفى ﷺ، وكانت تسمع منه ما لا يسمعه غيرها وترى من أحواله ما لايراه غيرُها وتفهم منه ما لا يفهم غيرها ، فالأمور الشرعية التي اجتهدت فيها، كانت على أسس أصولية، وقواعد اجمالية، فكانت رضي الله عنها تسلك فى استدلالها بالقرآن الكريم طرقاً كثيرة متنوعة، منها الظاهر، والمؤول، والمحكم، والمنطوق، والمفهوم، ووالعموم، والخصوص، والتعليل، والنسخ، والقياس وغيرها.(٤٦)

وفي هذا السياق الأصولي سنتعرض بشيء من التفصيل لبعض هذه الأمور الشرعية كما يلي:

أولا: أخذها – رضي الله عنها – بظاهر الآيات والأحاديث :

إذا كانت الأية ظاهرة الدلالة، لا تحتمل التأويل، أوالتوقف عن الأخذ بها، فان السيدة عائشة رضي الله عنها لا تلتفت، إلى غيرها من الأدلة بل تاخذ بها دليلاً لرأيها الفقهي، وهذا كثير عندها، ومن أمثلة ذالك: إنها ترى إن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة، لقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(٤٧).

وهناك آيات متفرقة فى القرآن الكريم لا تعطى بمفردها حكما مستقلا، ولكن إذا جمع بعضها الى بعض اعطت حكما ظاهرا، والسيدة عائشة رضي الله عنها تجمع مثل هذه الآيات بعضها الى بعض لتاخذ الحكم الشرعي المراد منها، ومن أمثلة ذالك: أنها تري وجوب مهر المثل لليتيمة إذا تزوجها من هي تحت كفالته وولايته؛ وهذا الحكم دلت عليه الآيات التالية: قال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي

الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾(٤٨). وقال تعالى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾(٤٩) وقد مر تفصيل ذلك.

ثانيا : أخذها – رضي الله عنها – بعموم الآيات والأحاديث

اذا دلت اية بعمومها على حكم من الاحكام، ولم يرد ما يخرج من هذا العموم شيئا فان السيدة عائشة تأخذ بحكم العموم من أمثلة ذالك أنها تري وجوب السكني والانفاق للبائن المطلقة الي نهاية المدة المعتادة، أخذاً بعموم قوله تعالى ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾(٥٠) (٥١)

ثالثا : أخذها – رضي الله عمها – بمفهوم الآيات والأحاديث

إن السيدة عائشة رضي الله عنها لا تقف أمام ألفاظ الآيات للأخذ بما تدل عليه من الأحكام، بل إنها تتعمق في تلك الآيات لأن الآيات لها مفهوم تدل عليه كما أن لها منطوقا، فتأخذ بالمفهوم كما تأخذ بالمنطوق.

من ذلك أنها تري أن الإنسان لا يؤاخذ بذنب غيره فى الدنيا والآخرة، فولد الزنا يجوز أمامته فى الصلاة لديها، وأنه يعتق فى الكفارات، مستدلة بقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(٥٢) معللة ذالك بقولها رضي الله عنها"ليس عليه من خطيئة أبويه شيء".(٥٣)

رابعا : أخذها رضي الله عنها بالتأويل والتعليل

قد يحتاج الحكم المأخوذ من بعض الآيات إلى تعليل ذالك الحكم، وذالك لعدم ظهورالدلالة عليه فى الآيات. من ذالك أنها تري أن الرجل إذا آلى من زوجته أنها لا تطلق بعد انقضاء مدة الايلاء، بل لابد من أن يوقف حتي يطلق، وتعلل ذالك بأن الله تعالى قال ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(٥٤)

خامسا : أخذها رضي الله عنها بالقياس (ان صح التعبير)

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها إن لم تجد الحكم فى القرآن والسنة تلجأ إلى القياس. ومن أمثلة ذالك: قياسها صوت الخلخال علي الجرس الذي نص الرسول ﷺعلى تحريمه، فقد رويت أن جارية دخلت عليها، وفى رجلها جلاجل من الخلخال، فقالت: السيدة عائشة: ((أَخْرِجُوا عَنِّي مُفَرِّقَةَ الْمَلَائِكَةِ))(٥٥) حيث قاست صوت الخلخال علي صوت الجرس، فكما أن الجرس لا يجوز لقول الرسول ﷺ ((وَلَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةَ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ))(٥٦) حيث إن كلاً من الخلخال صوت والجرس له صوت، ولذالك منعت السيدة عائشة الجارية التي كانت تلبس خلخالا عن الدخول عليها، لأن الخلخال صوت يمنع دخول الملائكة. وبهذه النبذة المنتقاة يكون قد وضحنا منهج السيدة عائشة رضي الله عنها الأصولي، وكيف أنها تستعمل قواعد الأصول فى استنباطاتها واجتهاداتها.

خلاصة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فأود أن أختصر بحثي هذا في نقاط بحيث يسهل الوصول الي أهم محتوي البحث :-

نبذة مختصرة عن نشأة السيدة عائشة رضي الله عنها وفضلها ذاكرا أهم المحطات في حياتها: اسمها، نسبها، طفولتها، ذكائها، زواجها، ذكاؤها، حافظتها، علمها، عملها، ومن الفضائل التي اخصت بها من غير أزواج النبي ﷺ انها أحب النساء الي رسول الله، انها أفضل نساء الأرض، أنّ الله اختصها بقرآن يتلى إلى يوم القيامةوغيرها من الفضائل العظيمة.

ذكرت على وجه الاختصار المجالات التي تظهر فيها تفوقها العلمي: أنها مفسرة كتاب رب العالمين، أنها محدّثة وحافظة السنة النبوية. أنها فقيهة ومجتهدة الأمة.

ذكرت منهجها الأصولي من خلال اجتهاداتها واستنباطاتها: أخذها رضي الله عنها بظاهر الآيات والأحاديث، أخذها رضي الله عنها بعموم الآيات والأحاديث، أخذها رضي الله عمها بمفهوم الآيات والأحاديث، أخذها رضي الله عنها بالتأويل والتعليل، أخذها، رضي الله عنها بالقياس.

الخاتمة

بعون الله الواحد الأحد الصمد الذي أتم الرسالات بمحمد بن عبد الله، واختار له صفوة خلقه أصحابه الخيرة عليهم رضوان الله وأتم التسليم وبعد:

فقد ظهرت لي أهم النتائج في هذا البحث :

أولا: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة حب الصحابة وأزواج النبي ﷺ.

ثانيا: أن الأحاديث الواردة في هذا البحث تزيد علي خمس وأربعين حديث وهي تبحث قضية مختصرة من حياة السيدة عائشة رضي الله عنها، اما ما يتعلق بمباحث متعلقة بالسيدة عائشة رضي الله عنها فوجدتها دون استقصاء اكثر من اربعمائة حديث.

ثالثا: أن شخصية السيدة عائشة رضي الله عنها شخصية مظلومة بحيث اتجهت تجاهها اتهامات هي منها براء ولدينا في الكتاب والسنة الشئ الكثير في عدم أحقيتها فينبغي ابراز هذه المعاني الشريفة حول شخصيتها.

رابعا: (توصية) وجدت أثناء البحث الموضوعات ذات أهمية بالغة منها: العلاقة الحسنة بين عائشة رضي الله عنها وأهل البيت وقد تتواجد الأحاديث والنصوص حول الموضوع مئات من الأحاديث، عرض أهم وأقوى الشبهات حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والرد عليها. عرض افتراءات مختلقة وأباطيل لا وجود لها عن أم لمؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وبالله التوفيق

الهوامش والإحالات

١) سورة الفتح رقم الاية:٢٩

٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، للإمام عبدالرحمن السعدي,دارابن حزم الاولي ص:٧٣٩

٣) سير اعلام النبلاء : للامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي: الطبعة الحادية عشرة،سنة ١٤٢هـ،مؤسسة الرسالة بيروت ،ص: ١٣/٢

٤) مسند الامام احمدبن حنبل : مطبعة المعارف القاهرة مسند عائشة

٥) سنن ابي داود،النكاح، باب: تزويج الصغار، رقم الحديث: ٢١٢١،ص: ٤٥٨/٣

٦) سنن النسائي، النكاح ، باب: التزويج فى شوال، رقم الحديث: ٣٢٣٦،ص: ٧٠

٧) سير اعلام النبلاء (١٩ / ١٣٥)

٨) صحيح مسلم، النكاح, تزويج الاب البكر الصغيرة، الرقم:١٤٢٢،ص: /١٠٣٨.

٩) سنن ابن ماجة،النكاح، حسن معاشرة النساء، رقم الحديث: ١٩٨٢،ص: /١٥٠.

١٠) سنن ابي داود،النكاح، باب: فى اللعب بالبنات، الرقم : ٤٩٣٢،ص: ٢٩٢/٧

١١) صحيح البخاري،النكاح،حسن المعاشرة مع الاهل ،الرقم : ٥١٩٠،ص: ٢٨/٧

١٢) صحيح البخاري،النكاح باب: نكاح الابكار، رقم الحديث: ٧٠١٢،ص: ٣٦/٩.

١٣) سنن الترمذي،ابواب المناقب, فضل عائشة، رقم الحديث: ٣٨٨٠،ص: ٧٠٤/٥.

١٤) صحيح مسلم ،الرضاع ,جواز هبتها نوبتها لضرتها)،الرقم ١٤٦٣،ص: ١٠٨٥/٢.

١٥) مسند أبي يعلى للحافظ ابي يعلي احمد بن علي بن المثني التميمي الاولي ١٤٢٢هـ بيروت لبنان –الرقم ٤٦٢٤

١٦) صحيح مسلم،فضائل الصحابة, فى فضل عائشة، رقم : ٢٤٤٢،ص: /١٨٩١.

١٧) صحيح البخاري،الادب، من دعي صاحبه فنقص من اسمه حرفا، :ص: ٤٤/٨.

١٨) سنن الترمذي،التفسير،ومن سورة المؤمنين، رقم الحديث: ٣١٧٥،ص: ٣٢٧/٥.

١٩) صحيح مسلم،فضائل الصحابة ,فى فضل عائشة، رقم : ٢٤٤٢،ص: ١٨٩١/٤.

٢٠) صحيح البخاري،فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة، ٣٤١١،ص: ١٥٨/٤.

٢١) صحيح مسلم، فضائل الصحابة /باب:من فضائل ابي بكر،الرقم :٢٣٨٤، ص:١٨٥٦/٤ .

٢٢) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، فضل عائشة، رقم: ٣٧٧٥،ص: ٣٠/٥.
٢٣) صحيح البخاري، فضائل الصحابة،فضل عائشة، رقم: ٣٧٦٨،ص: ٢٩/٥.
٢٤) صحيح البخاري ، النكاح، باب:نكاح الابكار، رقم الحديث: ٥٠٧٧،ص: ٥/٧.
٢٥) صحيح البخاري، النكاح، حسن المعاشرة مع الاهل، رقم ٥١٨٩،ص: ٢٧/٧.
٢٦) صحيح البخاري، النكاح ,غيرة النساء ووجدهن، رقم: ٥٢٢٨،ص: ٣٦/٧.
٢٧) صحيح البخاري، النكاح، القرعة بين النساء اذا اراد سفرا،ص: ٣٣/٧.
٢٨) صحيح البخاري ، المناقب ، مرض النبي ووفاته، رقم: ٤٤٥،ص: ١٣/٦.
٢٩) سنن الترمذي، ابواب المناقب,فضل عائشة، رقم: ٣٨٨٣،ص: ٧٠٥/٥.
٣٠) المستدرك علي الصحيحين للحاكم دار المعرفة بيروت ,الاولي،ص:٤ /٣٤٢
٣١) المستدرك للحاكم،ص: ١٣/٤
٣٢) سورةالانشقاق الاية: ٨ .
٣٣) صحيح البخاري، العلم ، من سمع شيئا فلم يعلمه فراجع، ص: ٣٢/١
٣٤) سورةالقمر:٤٦
٣٥) سورةابراهيم:٤٨
٣٦) صحيح مسلم،كتاب:صفات المناقين واحكامهم ،باب: في البعث،والنشور، وصفة الارض ،ص:١٣٢/٩
٣٧) تدريب الراوي في شرح التقريب لابي بكر السيوطي، مكتبة الرياض ،ص: ٢٠٥
٣٨) صحيح مسلم ،كتاب:العلم ،باب،رفع العلم وقبضه وظهورالجهل،ص:٤٣٧/٨
٣٩) صحيح مسلم،الزهدوالرقاق ،باب:التثبت فى الحديث وحكم كتابةالعلم،ص: ٣٢٩/٩
٤٠) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي دارالمعرفة الثاثة بيروت،ص: ٣٢٩/١٨
٤١) الطبقات الكبرى لابن سعد دار الفكر،بيروت الاولي،ص: ٣٧٥/٢
٤٢) الطبقات الكبرى لابن سعد،ص: ٣٧٥/٢.
٤٣) سورة الرعد: ٣٨.
٤٤) النسائي ,كتاب عشرة النساء ,باب النهي عن التبتل،ص: ٢٤٣/٣.
٤٥) سورة المؤمنون: ٥ – الى – ٧٣
٤٦) موسوعة فقه ام المؤمنين عائشة لمعيد فائز ,دار النفائس بيروت ، ص: ٥٥٨.

٤٧) سورة البقرة : ١٥٨

٤٨) سورة النساء:٣

٤٩) سورة النساء: ١٢٧

٥٠) سورة الطلاق:١

٥١) سنن الكبري للبيهقي، ص: ٤٣٢/٧ .ومصنف ابن ابي شيبة،ص: ١٤٦/٥

٥٢) سورة الانعام : ١٦٤

٥٣) مصنف ابن ابي شيبة، ص: ٣٠/٢

٥٤) سورة البقرة : ٢٢٩

٥٥) المصنف لعبدالرزاق الصنعاني الثانية,المكتب الاسلامي بيروت، ص: ٤٥٩/١٠.

٥٦) صحيح مسلم،كتاب اللباس والزينة .باب كراهة الكلب فى السفر، ص:٧ /٣٢٠.

****